



الخميس 22 أكتوبر 2020 02:00 م  
**كتب: عامر شماخ**

قليلة هي الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ ويتحدث فيها عن نفسه، ورغم هذه الندرة بجانب ما روى عنه ﷺ قولاً وفعلاً وتقريباً ويمثل الجناح الثانى من الوحي-فإن هذه الأحاديث التى جاء بعضها على سبيل استدعاء الذكريات تترجم شخصية هذا النبي الخاتم ﷺ وتظهر قدره وأوجه عظمته. ووددت لو خرج رجلٌ لهذه المهمة، يحصى أمثال هذه الأحاديث ويدققها، ويستخرج منها العظات ما تنتفع به الأمة، ولتعلم أن قائدها ﷺ له من الذكريات ما يليق بموقعه المعظم في سلسلة الرسل.

يتحدث ﷺ عن مظاهر حفظ الله له قبل النبوة فيقول: "ما هممتُ بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهتُمون به إلا مرتين من الدهر، كلتنيهما يعصمنى الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى أغنام أهله يرهاها: أبصرُ إلى غنمى حتى أسمر (الستمر: الحديث ليلاً) هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجتُ، فجنثُ أدنى دار من دور مكة، سمعتُ غناء وضرب دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوُّ بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظنى إلا حُرُّ الشمس فرجعتُ فقال: ما فعلت؟ فأخبرته. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجتُ، فسمعتُ مثل ذلك، فقبل لى مثل ما قبل لى، فلهوُّ بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظنى إلا مسُّ الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئاً. قال ﷺ: فوالله ما هممتُ بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته". ويؤكد ذلك فى حديث آخر بقوله ﷺ: "لما نشأتُ بُعِضْتُ لى الأوثان، وُبُعِضَ لىَّ الشيعر، ولم أهُمَّ بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين؛ فعصمنى الله منهما، ثم لم أعد".

ولا ينسى ﷺ حدثاً مهمًّا وقع فى شبابه وفيه النصفة والعدل للإنسان بإطلاق؛ مما جاءت به رسالته من بعد، وهو "خلف الفضول"، الذى تعاقده فيه مجموعة من قبائل مكة، منها بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد وغيرهم، على حماية المظلومين ونصرتهم والتصدي للظالمين.. قال ﷺ: "شهدتُ فى دار عبد الله بن جدعان حلقة ما أحب أن لى به حُمر النعم، ولو دُعيت إليه فى الإسلام لأجبت".

وإذا كانت مذكرات الزعماء والمصلحين لا تخلو من افتخار بالذات وشعور بعظمة أدوارهم وفضلها على مجتمعاتهم؛ فقد أتى هذا الجانب فى ذكريات النبي ﷺ تعضيذاً لأمر اصطفاة الله له وأنه نبته رعتها عين الخالق مذ كانت فى عالم الغيب، يقول ﷺ: "إن الله خلق الخلق، فجعلنى من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل، فجعلنى من خير قبيلة، ثم تخير البيوت، فجعلنى من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً". ويقول: "أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة". ويقول: "إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضِعَتْ هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين".

ومثلما يواجه القادة المحن والبلاءات، ثم يحكونها فيما بعد على سبيل الذكرى أو التندر، فقد تعرض النبي لواقعة اعتبرها، على خلاف ما رأت زوجته عائشة، من أصعب الواجهات.. قالت -رضى الله عنها- للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، وإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنطرتُ فإذا فيها جبريل -عليه السلام- فنادانى، فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئتُ فيهم. فنادانى ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثنى ربي إليك لتأمرنى بأمرك، فما شئتُ، إن شئتُ أطبقت عليهم الأخشيين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً".